

دعوات التظاهر في مصر تتجاهل جسد وطن «علييل» من لدغات الإخوان

محمد طعيمة
كاتب مصري

الحدوة مملعة، يحكى أن عقربا وضفدعا التقيا على ضفة نهر، طلب الأول من الثاني أن ينقله إلى الضفة الثانية. رد الضفدع: أخاف غدرك. قال العقرب: كيف وأنا فوق ظهرك، سنغرق معا؛ فرد: أقنعني.. اركب. في وسط النهر لدغه قائلا: أسف، الطبع غلب التطبع. ما يكسر ملل الحدوة أن «الضفدع» نفسه تطبع مع اللدغ، وأصبح كما «محفوظ ابوطاوية»، بطل مسرحية «هالو شلبي»، يجد متعته في «شد أسك الشراب»، فقط ليلسعه. هل أسطح الأمور؟ «ابوطاوية»، نموذج لضفادع مدينة مصرية، تتلذذ بلسعات عقارب الإخوان.

بذرة طبع العقرب في الجذر. فمؤسسهم بنى أول مسجد «ضرار» لجماعته بـ500 جنيه، قال إنها تبرع من شركة القناة الفرنسية، ونفت سجلات الشركة تبرعها، ما يعني أن المبلغ الضخم، وفق زمنه، أتى من جهة ما.. تكتم عليها، دعمته لتكملة مسيرته خلف القصر والاحتلال ضد القوى الوطنية، لاعبا بـ«الإسلام هو الحل»، والوقائع موقفة.

«لسنا أهل ثورة»، قالها مرات مهدي عاكف، ومثله كان موقف خليفته، محمد بدیع، حاسما، رفضوا دعوة التظاهر في 25 يناير. والجماعة التي لوحت بتحويل ما ستمه اضطهاد الشرطة لأعضائها، بررت رفضها المشاركة بأن «التظاهرة تصادف يوما وطنيا يحتفل فيه الجميع بجهان الشرطة، ويجب أن تحتفل جميعا به».

في أيام الثورة الأولى، حاول كل من محمد البلتاجي وأمين نور الإسكندرية والميكروفون لتردهم هتافات «انزل.. انزل.. لا إخوان ولا أحزاب». البلتاجي، حينما تقيقت جماعته من قرب انتصار الثورة، جمع مئات الإخوان حوله، وظهر، في خامس أيامها، ومع نواتر «فبركات» رموزهم عن دورهم الثوري، سخر أحد أبرز مراقبيهم لفصائحية العربية، الباحث الراحل حسام تمام، من مزاعمهم، مستشهدا بما عينه في الإسكندرية: كان حضورهم باهتا بين مليون ونصف المليون.

أخشن أن أتوه في ذاكرة «اللذغ» الإخواني، من الصفقة التي أبرمها مع عمر سليمان، لاستمرار النظام، وضحتها أبرز كتابهم في لحظة صدق نادرة، فهمي هويدي، بحريدة الشروق، 7 فبراير 2011، إلى جمعة «قنهار»، واحتلال مفتي الإهاب، يوسف القرضاوي، لقدس التحرير، ومحاولات شبابهم سرقة معارك محمد محمود، وحتى شخص الشهيد ابوضيف، الذي قتلوه برصاصهم، وصولا لخطف الثورة والبلد ذاتها. مع دعوات تظاهر الأيام العشرة الأخيرة من سبتمبر، شطت دعوات الضفادع المدنية، متجاهلة جسدها وجسد وطنها «الوارم» من لدغات الإخوان، لاستيعاب الجماعة كفضيل وطني، يقيني أن مجرد ظهور قنواتها وقيادتها كان سببا رئيسيا لفشل دعوات التظاهر، فالمصري لا يلدغ من الإخوان مرتين.

خان يخون إخوان، وللضفادع المدنية ما صاغه الراحل محمود درويش في «انت، منذ الآن، غيرك»، عقب انقلاب حماس «لا يغيتني الأصوليون، فهم مؤمنون على طريقتهم، يغيتني أنصارهم العلمانيون».. «وأن تكون ووبودين مع من يكرهوننا، تلك هي ثوبية المتعالي».



الغدر والتقلب في جذورهم



حرص على طي صفحة الإسلاميين

السودان الجديد يسعى للقطع مع خطاب الكراهية والتطرف الديني تجاوز إرث الإخوان مدخل أساسي لإعادة بناء المستقبل

في الإسلام. وتلك التي تتعلق بالمرأة في الإسلام وحقوقها، ومن ضمنها تكديده على أن الرجل والمرأة متساويان في الميراث وفي الشهادة ولا صحة للقول إن الذكر ضعف حظ الأنثى كما جاء في القرآن. ورفض طه فكر جماعة الإخوان المسلمين ودخل في سجلات حادة معهم ومع أفكارهم التي روجها حسن البنا ولإلهاب الديني، الذي ظللنا نعمل أسسها الحكم، بينما أسسها بالنسبة إلينا هو حركة الأنساب الثقافي اليومي للمجتمع».

وأكد طه على أن الإخوان لا يكتفون للاختلافات الدينية والعرقية للشعب السوداني قائلا «دعوة الإخوان مصطلحة على الدوام بالتمايز الديني والعربي بين الشمال والجنوب، إذ أن سعيهم نحو إقامة جمهورية إسلامية لا بد له من أن يرتطم بالجدار المسيحي للجنوب، وعندها سيدعون أنفسهم بين خيارين: إما مقاتلة الجنوبيين وقيل الشمال وإما التراجع عن استراتيجيتهم وهذا مستحيل، أما نحن فلا يهمننا أن يكون الجنوب مسيحي أو العرب إثنيا... نحن مع المثقف الجنوبي ومثقف غرب السودان وشرقه وشماله ووسطه».

وعلق الحزب الجمهوري في بيان له بالقول «إننا لا ننظر إلى عبدالحى يوسف، إلا كمثل حي ونموذج للهوس بالأساطير الدينية، الذي ظللنا نعمل باستمرار على اجتثاثه من أرض السودان». وأضاف «تعتبر تغاضي السلطات وتهاونها في اتخاذ موقف حاسم مما يبثه عبدالحى من منابر المساجد إهمالا وتقصيرا شديدين في حراسة أمن المجتمع وسلامة المواطنين».

وكانت وزيرة الشباب والرياضة بالسودان، ولاء البوشي، قدمت السبت، بلاغا ضد داعية، على خلفية اتهامات يوسف لها بـ«الردة».

وانتقد ناشطون على منصات التواصل الاجتماعي، هجوم داعية يوسف، على وزيرة الشباب والرياضة، واعتبروا تكفير المواطنين «جريمة جنائية» في كل البلدان الديمقراطية، مطالبين بـ«تجريم التكفير».

تعتمد في جوهرها على إلزامية العودة إلى الإسلام المكي باعتباره الأصل في الإسلام، وتجاهل الإسلام المدني الذي لا يصلح للعصر الحالي مطلقا. وفي ضوء هذا الفهم كان للمفكر السوداني البارز العديد من الأفكار غير التقليدية التي اعتبرها البعض بأنها تمثل خروجا عن الدين وتحريفا له، وكانت سببا في الحكم برذته أي خروجه عن الإسلام وهي التهمة التي أعدم بسببها.

وتضمنت أطروحات طه العديد من الأفكار المخيرة للجدل منها رؤيته للصلاة

ويعتبر طه، المولود في مدينة رفاعة بوسط السودان، عام 1909، من أبرز المهتمين بالقضايا الإسلامية، حيث أسس مع عدد من أصحابه الحزب الجمهوري السوداني، في 26 أكتوبر سنة 1945، وهو من أوائل الأحزاب السودانية التي نادى باستقلال السودان وتحوله إلى دولة جمهورية.

ولم يكن الحزب الجمهوري حزبا سياسيا فحسب، بل كان أشبه بالجماعة التي تجتمع فيها طلاب محمود طه والمؤمنون بأفكاره التي كانوا يرونها ثورة في الفكر الإسلامي، وأطلقوا عليها اسم «الفكرة الجمهورية».

واعتبرها «الجمهوريون» رؤية مختلفة تماما للدين الإسلامي. أما خارج جماعتهم، فقد رأى البعض أنها تمثل تجديدا حقيقيا في الدين الإسلامي، فيما اعتبر آخرون أنها تشويه متعمد للإسلام، ومحاولة للتغيير فيه وفقاً لآراء طه ومعتقداته الشخصية.

ويؤمن طه بأن الإسلام الحقيقي هو الإسلام المكي الذي يعتبر أصل الدين والمليء بآيات الرحمة والتسامح وهو الرسالة الأولى للإسلام، في حين أن الإسلام المدني أو إسلام المدينة هو فرع في الدين نزل على الرسول ليحكم من خلاله في الزمن الذي كان يعيش فيه، وانتهى هذا الإسلام بانتهاء عصر الرسول وانتهت معه آيات الجهاد والسببي والميراث والتمييز بين الرجل والمرأة والحدود. وعلى هذه الأسس، بنى محمود محمد طه رؤيته وأفكاره التي

السودان الجديد الذي ولد بعد اتفاق قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري يريد أن يطوي المرحلة السياسية السابقة بجميع آثارها وخاصة الحكم الديني الذي جلب معه التطرف والتشدد الديني وتكفير المختلف، ليؤسس من خلال خطوات ثابتة ورأسخة حكما مدنيا يتيح الحريات ويسمح بالاختلاف في بلد يعرف بتنوعه الديني والعربي. وتأكيدا منه على رغبة السودان الجديد طي صفحة الماضي، عيّن رئيس الحكومة الجديد عبد الله حمدوك عن رفضه لخطاب الكراهية والتطرف الديني ردا على تصريحات داعية متطرف اتهم وزيره بالردة.

ويعتبر طه، المولود في مدينة رفاعة بوسط السودان، عام 1909، من أبرز المهتمين بالقضايا الإسلامية، حيث أسس مع عدد من أصحابه الحزب الجمهوري السوداني، في 26 أكتوبر سنة 1945، وهو من أوائل الأحزاب السودانية التي نادى باستقلال السودان وتحوله إلى دولة جمهورية.

ولم يكن الحزب الجمهوري حزبا سياسيا فحسب، بل كان أشبه بالجماعة التي تجتمع فيها طلاب محمود طه والمؤمنون بأفكاره التي كانوا يرونها ثورة في الفكر الإسلامي، وأطلقوا عليها اسم «الفكرة الجمهورية».

واعتبرها «الجمهوريون» رؤية مختلفة تماما للدين الإسلامي. أما خارج جماعتهم، فقد رأى البعض أنها تمثل تجديدا حقيقيا في الدين الإسلامي، فيما اعتبر آخرون أنها تشويه متعمد للإسلام، ومحاولة للتغيير فيه وفقاً لآراء طه ومعتقداته الشخصية.

ويؤمن طه بأن الإسلام الحقيقي هو الإسلام المكي الذي يعتبر أصل الدين والمليء بآيات الرحمة والتسامح وهو الرسالة الأولى للإسلام، في حين أن الإسلام المدني أو إسلام المدينة هو فرع في الدين نزل على الرسول ليحكم من خلاله في الزمن الذي كان يعيش فيه، وانتهى هذا الإسلام بانتهاء عصر الرسول وانتهت معه آيات الجهاد والسببي والميراث والتمييز بين الرجل والمرأة والحدود. وعلى هذه الأسس، بنى محمود محمد طه رؤيته وأفكاره التي

الخرطوم - دعا رئيس الوزراء السوداني، عبدالله حمدوك، الأحد، إلى وضع حد لخطاب الكراهية والتطرف الديني، على خلفية اتهامات بـ«الردة» وجهها داعية الإسلام المتشدد عبدالحى يوسف الجمعة الماضية لوزيرة الشباب والرياضة ولاء البوشي. وأضاف على صفحته الرسمية بموقع فيسبوك، «يجب أن نحقق بالتشوع الذي تتميز به بلادنا، وأن نضع نهاية لخطاب الكراهية والتطرف الديني، وأن نعمل سوياً لإعادة بناء مستقبل بلادنا».

ويرى مراقبون أن هذه الدعوة تنطلق من حرص رئيس الحكومة الجديد على تجاوز إرث وأفكار منظومة الحكم الإخوانية التي قادت البلاد، والتي زرعت التطرف والتشدد الديني من 1989 إلى أبريل 2019 تاريخ سقوطها بعد مظاهرات شعبية.

ومنذ توليه زمام السلطة في البلاد عمل رئيس الوزراء الجديد على اتخاذ خطوات جادة بانحياز تأسيس دولة مدنية في البلاد وعياً منه بخطورة التداخل بين الدين والسياسة في زمن سياسي سوداني حرج.

وأصدر حمدوك في وقت سابق قرارا بإغفاء مدراء جامعات حكومية ورؤساء مجالس في مسعى منه للقطع مع ثلاثة عقود من أخوة التعليم في البلاد. وكان نائب رئيس هيئة علماء السودان وإمام مسجد خاتم المرسلين بجي جيرة جنوبي الخرطوم، الداعية يوسف قد اتهم في خطبة الجمعة الماضية، الحكومة السودانية، برئاسة حمدوك، بأن «أفعالها تؤكد أنها أتت لهدم الدين».

ولا يعتبر موقف الداعية المتطرف شاذاً في السودان الجديد، حيث يعمل المنتسبون للتيارات الإسلامية على الإبقاء على النهج المتشدد للحكم السابق في السودان، والذي يتعارض مع طبيعة الشعب السوداني المسالمة.

ووجه يوسف انتقادات للوزيرة البوشي، زاعماً أنها «لا تتبع الدين الإسلامي، وتؤمن بأفكار حزبها الجمهوري الذي حكم على قانده (محمود محمد طه) بالردة وأعدم قبل 35 عاماً».